

جواد طويل فتى المقاومة وقائدها... وشهيدها



بعدهما تجاوز بسيارته بضع مئات الأمتار انطلاقاً من منزله في حيّ الدبشة في بلدته خربة سلم (قضاء بنت جبيل)، دوى انفجار بسيارة «الحاج جواد»، من نوع «CRV HONDA»، وتحوّلت السيارة خلال لحظات إلى كتلة نيران ملتهبة، صعّبت معها - في الدقائق الأولى - مهمّة التعرف إلى نوع ولون السيارة، فضلاً عن هويّة من في داخلها. هرع شبّان كانوا قريبين من المكان إلى السيارة المشتعلة، وحاولوا إخماد نيرانها، وإنقاذ من فيها. لكن، سرعان ما تبيّن لهم أن الحريق نال من السيارة ومن فيها، بشكل شبه كامل. مرّ وقت قليل، وتكهّنات كثيرة. قبل أن تدلّ كل المؤشّرات على أن من في السيارة، هو الحاج وسام حسن طويل، أو «الحاج جواد»، كما يعرفه معظم من تعرّفوا إليه، حتى الأقارب. حاول الجميع استبعاد الأخبار التي عرفوا جميعاً - في قرارة أنفسهم - أنها صادقة. «انتظروا فحص DNA»، قال أحد الذين تجمّعوا أمام منزل الحاج في «الخربة». «لكنّ النتيجة تتطلّب وقتاً طويلاً، ولا يمكننا الانتظار لساعات قبل إعلان الخبر»، قال آخر. في داخل المنزل، المعروف لكل أهل البلدة، تجمّعت النسوة مع العائلة، الزوجة وأربعة أولاد. تهمس إحداهنّ في أذن زوجها الذي يقف مع الرجال خارجاً: «زوجة الحاج متأكدة من أنه هو المستهدف». وبعد نحو ساعة، تأكّد الجميع، ولم يعد من مجال لإنكار الحدث. الحاج جواد، شهيداً! في صيف عام 1975، وُلد وسام، لعائلة جنوبية في بلدة خربة سلم.

ترعرع وسام، الطفل، بين إخوته الذين يكبرونه سنّاً. وعندما كان في السابعة من عمره، وقع الاجتياح الإسرائيلي للبنان. وفي الشهور الأولى عقب الاجتياح، التحق بعض إخوة وسام بمجموعات المقاومة. ومع تقدّم السنوات، كان وسام يكبر، ويعتاد رؤية المقاومين والسلاح، في كل مكان حوله. في شباط عام 1987، كانت عائلة الحاج حسن طويل، على موعد مع الشهادة للمرة الأولى. أتى الخبر من بيروت، بأن ابنها، قاسم، قد استُشهد في أحداث «ثكنة فتح» الشهيرة، ضمن المجموعات الأولى للمقاومة. بعد ذلك بثلاثة أشهر فقط، كانت العائلة مع موعد ثانٍ للشهادة، حيث استُشهد الشيخ فادي، أخو وسام، في عملية «بدر الكبرى» ضدّ مواقع العدو الإسرائيلي. تابع وسام، الشاب اليافع حينها، طريق إخوته، والتحق بصفوف المقاومة. ينقل عارفون بأحوال العائلة، أن «بيتهم كان مركزاً دائماً للمقاومين»، ولطالما «استُقبلت المجموعات في هذا البيت، وخرجت منه إلى العمليات في الشريط الحدودي، أو عادت إليه». ومن هذا البيت نفسه، «ابتداءً من عام 1989، كان يخرج جواد إلى المهامّ الجهادية، وهو في مطلع شبابه»، وفي ذلك الوقت «صاحب الفتى جواد، مقاومين أكبر منه سنّاً، وعاشرهم وتعلّم منهم، ومنهم من استُشهد في ما بعد، ومنهم من أصبح من القادة الكبار في المقاومة». بحسب عارفي الشهيد، فقد «عمل في سنوات ما قبل التحرير عام 2000، في مجموعات الاستطلاع، ولطالما كان يخترق الشريط المحتلّ خلال استطلاع مواقع وقوات العدو»، كما تسلّم مهمّة الاستطلاع في محور إقليم التفاح بعد العدوان الإسرائيلي على لبنان في نيسان 1996. وفي عام 1999، خلال مشاركته في عملية للمقاومة على موقع سجد، تعرّض جواد طويل لإصابة بالغة، بقيت آثارها بادية عليه لفترة طويلة.

تحرّر الجنوب في أيار عام 2000، وكان لجواد رصيد معتبر من العمليات التي أدّت إلى تحقيق التحرير. لم يهدأ وسام، ولم ينصرف عن المقاومة. وسرعان ما وجد نفسه مشاركاً في التخطيط والتجهيز لعملية الأسر في شبعا عام 2000، ثم مشاركاً في التخطيط والتنفيذ لعملية الأسر في تموز عام 2006، إلى جانب الشهيد خالد بزي، وكوكبة مميّزة من المقاومين والشهداء، بقيادة الشهيد عماد مغنية. بعد انتصار تموز 2006، شرعت المقاومة في تنفيذ برامج تدريبية وتأهيلية وبنائية واسعة على المستويات العسكرية المختلفة. وكان لجواد نصيب من الإشراف على تنفيذ عدد من هذه البرامج.

مع اندلاع الحرب السورية، كان جواد من أوائل من انتقلوا للقتال هناك. وفي الأعوام الأولى للحرب مع المجموعات المسلحة الإرهابية في سوريا، في عام 2013، كان للعائلة نفسها موعد جديد مع الشهادة. ابنُ أخي جواد، محمد، استُشهد في المعارك ضد المسلحين. تابع جواد نشاطه، وفي سوريا لمع نجمه أكثر فأكثر، وتولّى مسؤوليّة «العمليات» في سوريا، تحت قيادة الشهيد مصطفى بدر الدين. وفي آخر جلسة عقدها الأخير، في الشام، قبيل استشهاده، مع القيادة العسكرية للمقاومة في سوريا، كان جواد جالساً إلى يمينه. وتحت قيادة الشهيد قاسم سليمان، قاد الحاج جواد جزءاً أساسياً من العمليات العسكرية

عاد جواد إلى لبنان، وعينه على الجبهة مع العدو. وبخبرة كبيرة اكتسبها من الميدان السوري، إضافة إلى مشاركاته العديدة ضد العدو الإسرائيلي، صار الحاج جواد ضابطاً ربيعاً في المقاومة، تتوزع مهامه بين التدريب والتخطيط والإشراف على تنفيذ المهام الكبيرة. حلّ «طوفان الأقصى» في 7 تشرين الأول من العام الفائت. كان جواد حاضراً في الميدان، ومعه المقاومون الذين أشرف على تدريبهم وقيادتهم، للشروع بتنفيذ النسق الأول من الأعمال العسكرية ضدّ مواقع العدو وتحصيناته على طول الخط الحدودي. وفي الأيام الأولى لهذه الحرب، فقدت العائلة، مرة أخرى، قربانها الجديد «على طريق القدس»، وهو الشهيد حسين هاني طويل، ابن أخي الحاج جواد، وشقيق الشهيد محمد. قبل ذلك، وخلال شهور قليلة، فقدت العائلة، والحاج جواد، الوالد والوالدة. وبعد نحو 3 أشهر فقط، كان موعد وسام، الحاج جواد، للحاق.